الأسئلة والأجوبة

الاسئلة والاجوبة هي بالنسبة للهيود " القانون غير المكتوب " ويعود نشأتها الى اسئلة وجهها اشخاص عاديون الى الحاخامين في فترة التلمود مع حلول القرن العاشر الميلادي ومع نمو الطوائف اليهودية في اماكن متفرقة من العالم ازداد عدد الاسئلة والاجوبة حتى بلغ عشرات الآلاف . . . وظهرت اول مجموعة مدونة من الاسئلة والاجوبة في النصف الاول من القرن الثامن الميلادي ، الا ان الحاخامين ذوو صلاحية البت لم يصدروا مثل هذه المجموعات في شكل كتاب ، كما يفعل الكثيرون الآن . وزيادة على كون الاسئلة والاجوبة توفر شرحا لتفاسير السلوك الشرعي والطقسي فانها تلقي ضوءا كبيرا على التاريخ اليهودي . وكلما كان قانون من قوانين الهلاخا يحظى بقبول واسع ، اتسع المجال وزادت الحاجة الى المزيد من الاسئلة والاجوبة . وتم اصدار مجموعات من الاسئلة والاجوبة تتلاءم مع ظروف الحياة المتباينة ، وحتى لمواجهة الاوضاع في معسكرات الاعتقال النازية (حد قولهم) وحظي بعض هذه المجموعات بدراسة عميقة حتى اصبح المؤلف يعرف باسم الكاتب الذي اصدرة .

مجموعة القوانين

مهما كانت مجموعات الاسئلة والاجوبة الشاملة فإنها لا تشكل بديلا لمجموعة قوانين ثابتة ومرجعية . وكانت الغاية من بلورة مجموعة قوانين تكون جهازا قانونيا للاستعمال العادي له طابع حاسم وتمتد جذوره الى المصادر الاولية . . فكانت اول مجموعة قوانين ملزمة ومرتبة حسب المواضيع المعروفة بإسم (هالاخوت بسوكوت– اي فتاوى) قد ظهرت في القرن الثامن الميلادي .

ويعتبر سفر هالاخوت (كتاب القوانين) الذي وضعه الحاخام يتسحاق بن يعقوب الفاسي (١٠١٠ – ١١٠٣) من معالم الطريق في هذا المجال . . فقد تم ترتيبه في ٢٤ فصلا تلموديا وهو يعالج القوانين التي كانت مستعملة في ذلك العصر فقط – فهو يُخرج عن نطاق البحث مثلا ، الطقوس الخاصة بالقرابين – بعد ذلك بفترة قصيرة صدر المؤلف القيم للحاخام موسى بن ميمون (هارامبام) مشني تورا ، هذا الاسم بحد ذاته يشير الى تكرار التوراة الشفاهية وجاءت صياغته بالعبرية المميزة للمشنا . . وعنصر الابداع في مشني تورا يكمن في انه يتطلع لأن يكون قائما بحد ذاته . وكان هارمبام يعتقد بأنه بعد ان يصب التلمود كله في فتاوى حاسمة لن يحتاج اليهود الى اي مؤلف سوى المشني تورا .

تعرض عمل موسى بن ميمون (هارامبام) لنقد شديد من بعض الاوساط بسبب ما اعتبروه تهورا من جانبه . وخلال القرون التي تلت صدور مؤلفه عكف الكثيرون من المهاجمين والمدافعين والمعلقين الحياديين على فحص ومناقشة المصادر التي استند اليها في بعض فتاواه ، ولكنه لم يذكرها . هذه العملية في حد ذاتها فعلت فعلا معاكسا لما طمح اليه هارامبام ذلك ان الطوائف اليهودية عامة – باستثناء يهود اليمن – لم تتبنّ مجموعة قوانينه على انها المصدر الوحيد لفتاوى الهلاخا .

وهنا ارى ان اكتب نبذة موجزة عن حياة موسى بن ميمون باعتباره فيلسوفا وعالما دينيا يهوديا قدم الكثير وكان من ابرز الفلاسفة في تهذيب العقلية اليهودية . .

ولد موسى بن ميمون في مدينة قرطبة في الاندلس في اليوم الثلاثين من مارس /آذار عام ١١٣٥ ميلادية . . وكان واحدا من اكبر المعلقين اليهود وحفيد الرباني " جودا " جامع المشنا . . كان والده قد تقدمت به السن عندما تزوج موسى ويقال انه دخل في حالة زيجية نظرا لأنه رأي في منامه عدة مرات متتاليه انه تزوج من ابنه (جزار) في المنطقة التي يعيش فيها وهي السيدة التي تزوجها فعلا فيما بعد .

كان موسى الابن الوحيد لوالده ، توفيت امه بعد ولادته وقد حزن والده عليها حزنا شديدا ثم تزوج بعد حوالي سنة من وفاتها من امرأة اخرى وانجب من الزوجة الجديدة عدة ابناء . . موسى لم يكن يحب الدراسة ايام شبابه ، الامر الذي جعل والده يحزن كثيرا وكل الجهود التي بذلت لاغرائه بأن يكون دارسا فشلت وكان اخوه يناديه بأبن الجزار كنوع من التوبيخ على بلادته واخيرا طرده والده من البيت بغضب . وسافر موسى بعيدا عن بيت والده وكان وحيدا حزينا بدون صداقة . . واثناء سفره وقع على ربّاني متعلم واعجب بحكمته ومعرفته . . . لهذا قرر ان يدرس بحماس ويحقق نجاحا . . . بعد سنوات اعلن عن واعظ جديد سيلقي محاضرة في المعبد وكان ذلك موسى بن ميمون وكان صيته وعلمه قد انتشر عبر اشاعات عديدة حول تعليمه الرائع وبلاغته في الخطابة . . والجميع كانوا شغوفين لسماعه في امور : الخلاص والرغبة والتأثير ، وقد برز على اولئك الناس الذين سبق وان استمع لهم ولاستغراب والده اعترف الرجال كل الذين كانوا تواقين لتكريم قريبهم المنبوذ في اول تعليق له على المشنا وقد انهى ذلك بالكلمات التالية :

" انا موسى بن ميمون بدات هذا التعليق حين كنت ابن ٢٣ عاما وانهيته عندما بلغت الثلاثين من عمري في ارض مصر " . . .الميمونيون كانوا قد فرّوا من اسبانيا الى القاهرة بسبب التعصب الديني او الاضطهاد هناك الذي تلا سقوط الاندلس العربية . وفي القاهرة درس اليونانية والكلدانية واصبح استاذا فيهما ، وذاع صيته وشهرته في كل البلاد المصرية . . وبمكانته العلمية ومعرفته العامة اعترف بهما على مستوى عالمي . . ومؤلفاته لم تقدر من اخوانه في الايمان فحسب ولكن من كل المثقفين والمتنورين في أيامه .

هرب من القاهرة بسبب تآمر اطباء الملك عليه فاوهموا الملك بأن موسى بن ميمون قد دس له السم في جرعة الدواء . . ولكي يثبتوا للملك تآمرهم . . احضروا كلبا امام الملك واعطوه الجرعة التي حضروها هم بانفسهم، فسقط الكلب ميتا . . فانطلت هذه الرواية الكاذبة على الملك الذي امر باعدامه غير ان موسى بن ميمون طلب مهلة ثلاثة ايام عله يأتي بجديد ووافق الملك على المهلة المطلوبة . . واثناء ذلك فرّ موسى من وجه الملك ولجأ الى كهف بعيد وهناك وضع مؤلفه الشهير (اليد القوية) " היד החזקה " وقسمه الى اربعين فصلا .

في هذا المؤلف الديني بسط بن ميمون القوانين والتقاليد الدينية اليهودية ووضحها بشكل جعلها سهلة الفهم للجميع وكان المؤلف المضني اعداده والذي عرف بـ " مشني توراه " او " القانون الثاني " الذي جرى نسخه ونشره بقوة . . كما كتب ايضا عدة مؤلفات ضد الكفر واكد فيها ان الله خلق الكون من العدم وعندما وصل سن الخمسين اعطى العالم عمله الكبير ممثلا في مؤلف باسم " نبوخيم "معلم المحتارين او معلم الحيارى . توفي موسى بن ميمون عن عمر يناهز السبعين عاما واحضر جثمانه ودفن في القاهرة .

ويعتبر الحاخام يوسف كارو (١٤٨٨ – ١٥٧٥) اعظم واضعي مجموعات القوانين في الفترة اللاحقة ، فقد جمع بين عناصر كتاب هارامبام وكتاب الفاسي ، الى جانب مؤلف يضم اربعة اجزاء للحاخام يعقوب بن أشير ، فاصدر مجموعة قوانين جديدة عنونها (شلحان عاروخ) بمعنى منضدة معّدة او مجهزة . . والشلحان عاروخ يتميز باسلوب اكثر اقتضابا وهو اكثر شمولا حتى من مشني تورا وهو يستغني عن ذكر المصادر كما يستغني عن الملاحظات الاخلاقية وتفاسير القوانين ، كذلك فانه يتجاهل العادات والفتاوى الخاصة باليهود الاشكناز وبغية اصلاح هذا النقص ، وضع الحاخام موشيه ايسرلس (عاش في بولندا ١٥٢٥ – ١٥٧٢) كتابا سماه " مفرش " لمائدة الحاخام كارو . نتيجة لهذه الخطوة ولتفسيرين صدرا في القرن السابع عشر – ما بين ابراهام وطوري هزهاف – اصبح الشلحان عاروخ الصلاحية الملزمة لجميع اليهود المتدينين تقريبا .